

هل الميتافيزيقيا ضرورية

جورج يعقوب الفار*

ملخص

حاولت هذه الدراسة أن تبيّن أهمية الميتافيزيقيا وضرورة بقائها واستمرارها فرعاً من أفرع الفلسفة العامة، على الرغم من كل التيارات الفكرية التي تنادي بعدم جدواها واستنفاد أغراضها وبفراغها من المعنى. من هنا سعت الدراسة إلى توضيح معنى الميتافيزيقيا وأن تبيّن مدى قوتها أو ضعفها ومحاولة تسليط الضوء على اهتمامات الميتافيزيقيا الحديثة وفهم قضاياها المعاصرة، وهي اهتمامات ضرورية ومهمة للعلم وللإنسان، ليخلص البحث إلى الاستنتاج بأن الميتافيزيقيا تمثل ضرورة راهنة لكل من العلم والإنسان. أظهرت الدراسة أن ضرورة الميتافيزيقيا تنأتى من كونها قادرة على نقد الأسس التي تقوم عليها العلوم وعلى نقد محدودية التجربة العلمية ومن ثم أهميتها في تشبيك النتائج التي تتوصل إليها العلوم مع بعضها بعضاً. كما تبيّن هذه الدراسة ضرورة الميتافيزيقيا للإنسان "الكائن الميتافيزيقي" الذي يطرح على نفسه أسئلة كبرى ويبحث عن المعنى من وجوده في الحياة. فقد اثبتت ان لها قدرة على تعليم الإنسان التفكير النقدي النظري ومساعدته في الانتقال من خطوة منطقية إلى أخرى. في محاولته للوصول إلى رقيّ نظري وعقلي.

الكلمات الدالة: الفلسفة النظرية، أسس العلوم، تشبيك نتائج العلوم، البحث عن المعنى.

المقدمة

الميتافيزيقيا التأمّلية القديمة والميتافيزيقيا النقدية الحديثة ولأستنتج بعد ذلك حاجة العلم والإنسان إلى وجود ميتافيزيقيا نقدية، وإلى ضرورتها كأداة تأسيسية للتفكير النظري ولتشبيك نتائج العلم لمحاولة الوصول إلى المعنى الكلي، ومع أنني أدرك جيداً جدلية الموضوع واتساعه إلا أنني سأحاول اختصاره وتقديم اضاءات قصيرة وجديدة على موضوع البحث، وفي حدود محاولة البرهنة على مدى صدق المسألة، أي ضرورة بقاء الميتافيزيقيا. سأقسم الموضوع إلى سبع نقاط لأضع أسساً واضحة للبحث ولأصل بعدها إلى نتائج منطقية في النهاية، سأبدأ أولاً في تعريف ما هي الميتافيزيقيا، ثم سأستعرض قوة وضعف الميتافيزيقيا، وتبيان موقف كانط من الميتافيزيقيا، وأوضح إهتمامات الميتافيزيقيا الحديثة، وأفرّق ما بين العلم والميتافيزيقيا، لأستنتج حاجة العلم إلى الميتافيزيقيا من خلال مواقف عدة فلاسفة: [موقف أرسطو، موقف الفارابي، موقف ماركس، موقف وايتهيد، موقف بوبر]، لأصل بعدها إلى نتائج البحث.

1) نشأة الميتافيزيقيا وتعريفاتها

أحد تعريفات الفلسفة إلى جانب معناها الأصلي: "محبّة الحكمة"، أنها: "العقل الذي يعقل ذاته"، أي العقل الذي يفكر بأداة تفكيره وينقد المناهج التي يستعملها العلم في محاولته

واجهت الميتافيزيقيا وما زالت هجوماً غير مسبوق منذ عصر النهضة الأوروبية إلى الآن، ونالها التشكيك في كونها علماً مفيداً أو ضرورياً للإنسان والعلم على حد سواء. وانبرى بعض الفلاسفة والعلماء للدفاع عن دورها باعتبار أن التفكير النظري جزء لا يتجزأ من الفلسفة وضروري للعلم. سأحاول في هذا البحث الانضمام إلى الفريق الثاني في الدفاع عن ضرورة بقاء الميتافيزيقيا وتطويرها لتخدم غرضين مهمين:

1. ضرورتها في نقد الأسس التي تقوم عليها العلوم، ونقد المنهج التجريبي العلمي.
2. ضرورة وجودها لمحاولة الوصول إلى المعنى من الوجود الإنساني.

لقد طرقت في محاولتي هذه منهجاً فلسفياً وتحليلياً ونقدياً، فبعد الحديث عن نشأتها وتعريفاتها ينتقل التحليل إلى فحص مدى قوة أو ضعف الميتافيزيقيا موضوعياً، ثم التمييز بين

* قسم الفلسفة، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، عمان. تاريخ استلام البحث 2012/11/20، وتاريخ قبوله 2013/7/1.

للوصول إلى المعرفة.

وتقسم الفلسفة عادة إلى:

1. فلسفة عملية: (حكمة، فلسفة الأخلاق وفلسفة الجمال، فلسفة العلم... الخ.)
2. فلسفة نظرية (وتضم الميتافيزيقيا، والأنطولوجيا، والمنطق والقياس والاستقراء، الخ). فالميتافيزيقيا هي جزء من الفلسفة النظرية إذاً، وتدل اللفظة اليونانية المركبة Metha-physics، على المعنى المباشر للفظ اليونانية، فالميتافيزيقيا، هي فلسفة ما بعد الطبيعة أو ما بعد الفيزياء أو ما وراء المادة. أما موضوع اهتمامها القديم، فكان بالكليات المجردة: الله، الكون، العالم، النفس، الخلود، الجمال، الخير، كما اهتمت بالبحث في معنى الوجود وبما يجعل الوجود وجوداً.

(2) قوة الميتافيزيقيا

تستمد الميتافيزيقيا قوتها من الأسباب التالية:

1. من جهة مواضيعها، فهي تبحث في أمور تهم الإنسان، وقد بحث الإنسان فيها منذ فجر التاريخ، وأعني "الكليات" الله، الكون، العالم، الوجود، الإدراك، الخير والشر، الجمال... الخ.
2. من جهة أداتها، أي "العقل النظري"، وهو عقل قائم وموجود ويخدم علوماً مختلفة.
3. من جهة قوانينها، فهي تتبع القوانين المنطقية التجريدية والقياس والاستقراء ولها قوانين عقلية صارمة إلى حد بعيد.
4. من جهة منفعتها: قدرتها على تنظيم التفكير النظري والمجرد، واستكشاف أفق العلوم الأخرى كالرياضيات، الفيزياء، الكيمياء، والعلم بشكل عام.
5. ارتباطها بالدين: فالميتافيزيقيا تؤسس الفكر النظري للعقائد الدينية بالذات، ويستعملها الدين في محاولته لإثبات عقائده.

ضعف الميتافيزيقيا

- 1) تجابه الميتافيزيقيا عادة بالفلسفة المادية، بالواقعية، بالتفكير الجدلي التي يقول أن الواقع هو الذي ينتج الفكر، والفكر يدخل بجدلية مع الواقع، لذلك فالفلسفة التأملية هي فلسفة غير مرتبطة بالواقع، فلماذا نحتاج إليها إذاً؟
- 2) تجابه بفلسفة اللغة والتحليل اللغوي التي تقول أن الكليات هي مصطلحات فارغة لا تعني شيئاً واقعياً ومادياً على الأرض، والكلام الميتافيزيقي كلام فارغ لا يعبر عن حقائق يمكن التأكد منها⁽¹⁾.

- 3) تجابه بالوضعية العلمية والوضعية المنطقية والامبريقية: فالعلم يهتم بالمحسوس والمادي والظاهري، بينما لا يقبل بموضوع لا يقع تحت حواسه ولا يمكن فحصه في

مختبراته⁽²⁾.

(4) تجابه بالفلسفة البراغماتية، التي تقول بأن الميتافيزيقيا مضیعة للوقت وليس فيها منفعة عملية للإنسان.

(3) موقف كانط من الميتافيزيقيا

يعرف كانط الميتافيزيقيا بأنها:

- "علم حدود العقل البشري"

- "معرفة لصفات الأشياء بالعقل"

إن الميتافيزيقيا- بالنسبة لكانط- ما هي إلا مذهب يضم جميع مبادئ معرفة العقل النظري الخالص من خلال التصورات، أو هي باختصار "مذهب الفلسفة النظرية الخالصة" ولعل تعريف كانط يريد أن يقول أن الميتافيزيقيا هي "مذهب العقل الخالص" أي العلم الذي يكشف على نحو متسق ومنهجي مجموع المعرفة الفلسفية (سواء كانت حقيقية أو زائفة) والتي تصدر عن العقل المجرد.

إن الميتافيزيقيا هي العلم الذي يقوم وحده بحل التصورات التي لا يمكن تجنبها وهي: "وجود الله، وحرية الإرادة، وخلود النفس"⁽³⁾.

لذلك يرى كانط أن معرفة الأشياء المحسوسة تنتمي إلى الميتافيزيقيا انتماءً غير مباشر على الأقل، بالرغم من أنها لا تكون الغاية الرئيسية للميتافيزيقيا، وقد حاول كانط الإجابة على سؤالين أساسيين في كتابه "نقد العقل المجرد":

- كيف يمكن للميتافيزيقيا أن تكون ممكنة بوصفها علماً؟

- هل الميتافيزيقيا ممكنة بوصفها نزوعاً طبيعياً في الإنسان؟

اجاب كانط على السؤال الثاني بقوله "على الرغم من أننا ننظر إلى الميتافيزيقيا على أنها أخفقت حتى الآن في محاولاتها فهي مع ذلك علم ضروري تماماً لطبيعة العقل البشري فالميتافيزيقيا هي تمام كل ثقافة للعقل البشري"⁽⁵⁾.

والميتافيزيقيا تشمل أحكاماً تحليلية قبلية، ولكنها يجب أن تصح مسارها لتشمل أحكاماً تركيبية قبلية، مع أن موضوعاتها مطلقة لا مشروطة مثل الله والحرية والخلود⁽⁶⁾. والنقد في نظر كانط هو الوسيلة التي بمقتضاها تنتقل الميتافيزيقيا من مرحلة النزوع إلى مرحلة العلم، لذلك قسم الميتافيزيقيا إلى:

أ. ميتافيزيقيا الطبيعية (المعرفة النظرية و كافة المبادئ العقلية التي تقوم عليها تلك المعرفة).

ب. ميتافيزيقيا الأخلاق (يتناول المبادئ التي تعين قبلياً).

إن نقد كانط للميتافيزيقيا كان نقداً من داخل الميتافيزيقيا يستهدف إحياءها لا قتلها، كما فعل هايدجر أيضاً، وحاول من خلال نقدها إعادة بنائها بوصفها علماً، وأوكل إليها مهمة

الكلام ذي المعنى والكلام الفارغ من المعنى، هو قابلية هذا الكلام بالرجوع به إلى التجربة الحسية؟ هل التأمل حجر عثرة في سبيل التجريب؟

يرى البعض أن هناك علاقة وثيقة بين العلم والفلسفة. ومهمة الفلسفة أن تعمل في وفاق مع الأفكار على نحو ما تتضح في الوقائع العينية للعالم الواقعي. والعلم والفلسفة في نظر بعض الفلاسفة يتبادلان النقد ويقدم كل منهما للآخر المادة المثيرة للخيال. ولابد للمذهب الفلسفي أن يقدم تحليله للواقعة العينية التي تقوم العلوم بالتجريد منها، وكذلك العلوم لابد أن تعثر على مبادئها في الوقائع العينية. بينما يرى آخرون أن العلوم الحديثة لها انعكاس على التفكير الفلسفي وأن التفكير الفلسفي في جميع علومه صدى العلم وكل ولادة أو بعث لفلسفة ما جاء نتيجة لازدهار علمي⁽¹¹⁾.

هذا القول فيه كثير من الدقة، فالفلسفة الديكارتيّة مبنية على الاكتشافات التي قام بها غاليليو في الفيزياء حيث قبل ديكارت ثنائية المادة والفكر ملغيا الاحساس والتجربة، وكذلك فعل كانط عندما أسس فلسفته على الاكتشافات التي قام بها نيوتن في تصوره ميكانيكية الكون، ويلتقي كانط ونيوتن في اعتبار عالم الظواهر هو العالم الذي نستطيع فهمه فقط وأن الشيء في ذاته لا يدرك، فالطبيعة والواقع وجميع الظواهر قابلة لأن تُصاغ في قوانين، أما ما لا يقبل الصياغة، فإنه ليس بظاهرة، بل شيء في ذاته غير قابل للمعرفة. فكانت يقر بالواقع على دائرة الظواهر، على ما نقف عليه وعلى ارتباطاته. إن الواقع المشروع علميا، هو واقع الظواهر أي الواقع الذي استطاع العلم الميكانيكي أن يؤكد نظام قوانينه وقانون نظامه تكون العلة والمعلول والحركة⁽¹²⁾.

(6) حاجة العلم إلى الميتافيزيقيا (مواقف)

موقف أرسطو (384-322) ق.م

يفرق الفلاسفة منذ أرسطو بين الميتافيزيقيا والعلم، وخاصة من حيث الموضوع، فالميتافيزيقيا تبحث بحسب أرسطو في الموجود بما هو موجود، أما العلم فيبحث في الموجود "بحال ما"، لكن التفرقة لم تكن أساسية، ذلك أن التفرقة الأساسية عندهم كانت بين القسم العلمي في الفلسفة، وقسمها العملي الذي كان يضم العلم الطبيعي بوصفه العلم الأسفل، والميتافيزيقيا بوصفها العلم الأعلى⁽¹³⁾.

موقف الفارابي (872-950)

فالعالم كما يقول الفارابي "منها جزئية ومنها كمية... العلوم الجزئية هي التي موضوعاتها بعض الموجودات أو بعض

تحديد إختصاصات كل من العقليين: النظري والعملي. فأوكل إلى العقل النظري ميتافيزيقيا الطبيعة، وأوكل إلى العقل العملي ميتافيزيقيا الأخلاق⁽⁷⁾.

(4) اهتمامات الميتافيزيقيا المعاصرة

هناك من يرى أن مغزى فلسفة كانط كامنة في النقد، ويهتمون الميتافيزيقيا الجديدة التي لم يبرزها بشكل كاف، على الرغم من أنها كانت هدفاً أساسياً من أهدافه.

أما الفريق الثاني فهم على العكس من الفريق الأول، يعدون نقد كانط للعلوم الطبيعية هو الميتافيزيقيا الجديدة، التي خطط لها ورسم أبعادها تاركاً إتمامها لمن يجيء بعده وقد قام وابتهد بهذه المحاولة بنفسه.

فقد حاول الكثير من الفلاسفة المحدثين، الثورة على الفلسفة التأملية القديمة، وبدأ كانط بمشروع لتأسيس ميتافيزيقيا جديدة أسماها في بعض الأحيان "الفلسفة الترانسندنتالية". وقد بدأ محاولته هذه في نقد الأسس التي تقوم عليها العلوم الطبيعية. ونجح في هذا المجهود، إلا أنه لما فرغ من كتابة "فلسفة العقل المجرد" تساءل تلاميذه حول هذه الميتافيزيقيا التي بشرها؟ فكان جوابه: أن الميتافيزيقيا تكمن في النقد الذي وجهه وقام به لأسس العلوم الطبيعية⁽⁸⁾، وهكذا، ارتبطت الميتافيزيقيا لأول مرة بالعلوم الطبيعية وغادرت موقعها التأملية السابق.

ولما جاء هيدجر أعاد إليها دورها التأملية في الوجود وللوجود، وحاول كل من هارتمان ويسبرز بناء نظريات ميتافيزيقية معرفية، إلى أن جاء وابتهد واستكمل ما قام به كانط بحيث أعطى للميتافيزيقيا دوراً مثل كانط في نقد أسس العلوم الطبيعية واضاف إليه دوراً آخر في تفسير المعاني التي تصل إليها العلوم. فلكل علم محدوديته في تفسير الظاهرة التي يدرسه، كما أن هناك أسس نقدية تقوم عليها التجربة ذاتها ومن ثم المعاني المستخلصة منها، وبحسب وابتهد لا تستطيع إلا الميتافيزيقيا استخلاص المعاني وتشبيك نتائج التجارب العلمية⁽⁹⁾.

(5) التفريق ما بين العلم والميتافيزيقيا

في حين أن العلم بمعناه الدقيق لا يكون، إلا بفرض الفروض أولاً، فمحاولة تحقيقها والبرهنة عليها ثانياً، أي أنه لا غنى للعلم عن الميتافيزيقيا، فالنظريات العلمية لا تجيء على نحو استقرائي من الوقائع وإنما يتخيل أولاً ثم يتحقق تجريبياً بعد ذلك ويرى كارناب والوضعيون المناطق بعامة "أن العلم ما هو إلا طريقة لتنظيم التجربة" لاكتساب حقيقة موضوعية⁽¹⁰⁾، هل صحيح أن تقدم العلم مرهون باستبعاد الميتافيزيقيا (كما يدعي الوضعيون والماركسيون)؟

وهل فيصل التفرقة بين العلم والميتافيزيقيا، وبالتالي بين

موقف بوبر (1902-1994)

إن العلم - فيما يرى بوبر لا يكون علماً إلا بتوافر شرطين أساسيين: أولهما هو ما يسمى بالحدوث الافتراضية Conjunctions، وهي الفروض والفنون أو التوقعات، أما الشرط الثاني، فهو التفنيدات Refutations، التي تنطوي على اختبارات نقدية، قد قدم بوبر في كتابه "منطق الكشف العلمي" أمثلة عديدة لأساطير كانت فيما مضى مجرد تأملات، ثم تطورت فأصبحت نظريات علمية ذات معنى، وفتحت تكامل لا بد منه بين الميتافيزيقيا والعلم، وبين التأمل والتجريب.⁽¹⁸⁾

موقف الوضعية العلمية الذي يعبر عنه د. زكي نجيب محمود في القول: "وإذن لو تخيرنا عبارات مما تقوله الميتافيزيقا بمعناها هذا، ثم لو أظهر لنا تحليل هذه العبارات أنها كلام فارغ خال مما يجعل للعبارة معنى، فلن يكون من حق الناقد أن يقول إننا قد اخترنا جانباً يؤيد مذهبنا، وكان يمكن أن نختار جانباً آخر لا يؤيده - على أننا نفضل فيما يأتي أن نجعل كلامنا عن "المطلق" لا عن "الله" - إذ الموضوع الذي يناقشه كبار الفلاسفة، حين يناقشون فكرة وجود الله، لا يمت إلا بصلة واهية - ذلك إن كانت هنالك صلة على الإطلاق - بالله" كما تفهمه الأديان، وإنما هو فكرة من تركيب العقل ولذلك يحسن استخدام المصطلح الفلسفي وهو كلمة "المطلق" بدل اللفظة الدينية "الله" في سياقنا هذا⁽¹⁹⁾.

النتائج

يمكننا القول أن الميتافيزيقيا التأملية القديمة والتي ازدهرت في الفلسفة اليونانية مع الرياضة الفيثاغورية ونظرية "المثل الأفلاطونية" ومنطق أرسطو، هي قواعد فكرية نظرية ساهمت في بناء العقل النظري الانساني، إلا أنها لم تستطع أن تصبح بحد ذاتها مولدة لمعرفة جديدة إنما ضابطة منظمة ومنطقة للمعرفة الموجودة في زمانها⁽²⁰⁾ بينما أستطاعت العلوم بمنهجيتها التجريبية أن تشق طريقها وتضاعف وتولد معرفة جديدة مع الثورة العلمية التي حدثت في أوروبا (الثورة الكوبرنيقية النيوتينية) وحققت قفزة علمية حقيقية مما أدى إلى تراجع الميتافيزيقيا وتقدم العلوم.⁽²¹⁾

إن كانط الذي جاء بعد الثورة العلمية فهم هذا الأمر جيداً، وحاول أن يضع أسساً لميتافيزيقيا جديدة لتواكب العلوم الطبيعية، فقدم نقداً ميتافيزيقياً لأسس العلوم الطبيعية، إلا أنه فشل في استحداث ميتافيزيقيا حديثة تماماً، بل مارس ما مارسه الميتافيزيقيا القديمة، وحاول بيان ضعف وقوة الأسس التي تقوم عليها العلوم الطبيعية مما جعل تلامذته الفلاسفة الذين أتوا بعده يتساءلون حول طبيعة الميتافيزيقيا الجديدة التي بشر بها

الموهومات، ويختص نظرها بأعراضها الخاصة لها، مثل علم الطبيعة... وعلم الهندسية، وعلم الحساب، وعلم الطب، وغير ذلك من العلوم الجزئية، وليس لشيء منها النظر فيما يعم جميع الموجودات. وأما العلم الكلي (الميتافيزيقيا) فهو الذي ينظر إلى الشيء العام،

أي لجميع الموجودات مثل الوجود والوحدة، وفي أنواعه ولواحقه، وفي الأشياء التي لا تعرض بالتخصص لشيء من موضوعات العلوم الجزئية مثل التقدم والتأخر والقوة والفعل والنام والناقص⁽¹⁴⁾.

موقف كانط (1724 - 1804)

"إن الميتافيزيقيا، وفق التعريف الذي حدده كانط، هي العلم الوحيد من كل العلوم، الذي يستطيع بجهد قليل، لكنه متحد، أن يتطلع إلى اكتمال كهذا وبوقت وجيز (...). لأنها، فعلاً، ليست سوى جرد لجميع ممتلكاتنا التي اكتسبناها بواسطة العقل المجرد، وأعددناها إعداداً منهجياً (...). هذا الاكتمال المطلق لا يُحمل فقط أمراً ممكناً، بل ضرورياً أيضاً، وذلك بواسطة الوحدة الكاملة لهذا النوع من المعرفة المشتقة بأكملها من المعاني العامة المجردة، ودون أن يكون للخبرة أي أثر أو فاعلية فيها، أو المشتقة من (حدوسات) خاصة تقضي إلى نوع معين من الخبرة قد يساعد على تضخيمها وتوسيعها"⁽¹⁵⁾.

بينما ذهب كانط إلى "أنه إذا كانت العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية، والمعرفة التجريبية بعامة، وسائل لغايات مرضية - فهي في النهاية - وسائل لغايات ضرورية وأساسية للإنسانية، ولذلك، فالميتافيزيقيا هي تمام كل ثقافة للعقل البشري"⁽¹⁶⁾.

موقف وايتهد (1861-1947)

ويحدثنا "وايتهد" عن العلاقة الوثيقة بين الفلسفة والعلم معترفاً بأهلية كل منهما، فكل منهما يعاون الآخر، ومهمة الفلسفة أن تعمل في وفاق مع الأفكار على نحو ما تتضح في الوقائع العينية للعالم الواقعي، وهي تسعى نحو تلك التعميمات التي تحدد الواقعية الكاملة للوقائع التي بدونها تفوض أية واقعة في التجريد.

بينما العلم يقوم بالتجريد ويقنع بفهم الواقعة على أساس من بعض جوانبها الجوهرية، والعلم والفلسفة في نظره، يتبادلان النقد، ويقدم كل منهما للآخر المادة المثيرة للخيال، ولا بد للمذهب الفلسفي أن يقدم تجلية للواقعة العينية التي تقوم العلوم بالتجريد منها، وكذلك العلوم لا بد أن تعثر على مبادئها في الوقائع العينية التي يعرضها المذهب الفلسفي، وبعد "وايتهد" تاريخ الفكر قصة لمدى النجاح أو الإخفاق في ذلك المشروع.⁽¹⁷⁾

في التحليل والنقد، فما هي تتمرد عليهم لتشتغل في حقلين أساسيين: هما البحث في الوجود، وفي محاولة إيجاد المعنى للعلوم. بعبارة أخرى فإنها تستجيب للنزوع الإنساني الذي يحاول فهم وجوده والوجود المحيط به مما يجعلها ضرورية للعقل الانساني، الذي يجد في الميتافيزيقيا مساعداً في تنظيم ومنطقة تفكيره ومحاولته للوصول للمعنى.

في ظل هذه النتائج التي وصلنا إليها نرى أن الميتافيزيقيا الحديثة المرتبطة بالعلم من جهة وبالأخلاق من جهة أخرى، ما زالت ضرورية للإنسان المعاصر لذلك نوصي بإعادة إحيائها كما نوصي بتعلم الميتافيزيقيا في المدارس والجامعات ليتسنى للإنسان الباحث عن معنى وجوده الانساني أن يجد هذا المعنى من خلال رؤية الواقع العملي وبمساعدة من العلم ليحل له لغز وجوده، وأن تكشف له الميتافيزيقيا عن سر الوجود ذاته، وليساعدته في تنظيم علاقته بأخيه الإنسان والمجتمع حوله في منظومة أخلاقية متماسكة. كما نوصي الباحثين في فلسفة الأخلاق أن يعتمدوا الميتافيزيقيا لتساعدهم في إيجاد منظومة أخلاقية عالمية جديدة عابرة القارات والثقافات مبنية على عقلانية إنسانية حقيقية. لذلك ما زال الإنسان بحاجة إلى الميتافيزيقيا التي تستطيع بمساعدة العلم أن تكشف له عن سر الوجود وعن المعنى من وجوده ومن وجود الكون من حوله. كما تستطيع أن تدفع وتنظم عقله بطريقتها المنطقية، يستطيع أن يجد منظومة أخلاقية إنسانية شاملة تنظم علاقته بأخيه الإنسان وبالبيئة والعالم الذي يعيش فيه.

فالميتافيزيقيا بطبيعتها ضرورية لكونها أعلى ثقافة عقلية يمكن أن يتحلى بها الإنسان، ومن حيث كونها أعمق أداة عقلية تغوص في الأسس التي تقوم عليها العلوم ولاستطاعتها تشبيك نتائج هذه العلوم، واستخلاص المعنى الحقيقي للوجود وللجهد البشري.

كانط نفسه ولم يتمها. فذهب هيغل في إتهامه لكانط بأنه خرب الميتافيزيقيا الألمانية، وسارع كل من هايدجر وسارتر وهارتمان ويسبرز محاولين إنتاج ميتافيزيقيا جديدة مجسرين بينها وبين الأنطولوجيا طوراً وبينها وبين العلم طوراً آخراً. بينما أسرع كل من بيكون وكارناب وبوير إلى حصر عمل الفلسفة في التحليل والنقد، وحاول بيرغسون في وضعيته العلمية الحط من شأن العلم بأسمها، وحاول ماركس تخليص الإنسان منها لأنها بنظره اغتراب ومناهة للعقل البشري.

إلا أن لوابتهد وجهة نظر أخرى، فهو حاول أن ينقذ الميتافيزيقيا والعلم معاً مبرهنناً على محدودية التجربة العلمية والمنهج التجريبي المقتصر على الظاهرة وعلى التجربة فقط، فنأدى بمصالحة الميتافيزيقيا مع العلم وأعطى للميتافيزيقيا دوراً في نقد أسس المعرفة العلمية (أي التجريبية)، وفي تشبيك نتائج التجارب العلمية بعد أنتهائها وأوكل إلى الميتافيزيقيا هاتين المهمتين. (22)

ولم يستطع أحد من الفلاسفة أن يشكك في الدور الذي أعطاه كانط للميتافيزيقيا في بحثها عن منظومة أخلاقية جديدة قائمة على العقل. فبقيت الميتافيزيقيا فاعلة في فلسفة الأخلاق، لذلك أرى أن تجدد الحديث عن الميتافيزيقيا في بداية القرن العشرين كان يهدف إلى ربطها بالعلم وتحديدًا بالجانب النظري من العلم في محاولة لإنقاذ الفلسفة النظرية التأميلية القديمة كما، أعطيت للميتافيزيقيا مهمة جديدة في بناء نظري، بالأخلاق العقلية التي لا يمكن أستنتاجها دون ميتافيزيقيا. فإذا لم تستطع الميتافيزيقيا على مدى عمرها الطويل، أن تصبح منبعاً ومنتجةً لمعرفة جديدة كما فعل العلم، إلا أنها في الوقت ذاته ساعدت العقل الإنساني ودفعته للمزيد من البحث والتقصي ضمن منظومة منطقية ومنظمة للفعل الفكري والمنطقي الإنساني. فإذا كان بعض الفلاسفة يحصرون عمل الميتافيزيقيا

الهوامش

- (7) Kant, The fundamental principles of metaphysics of ethctis, N.Y., appelton. inc, 1938, p56.
- (8) المرجع السابق، ص 63.
- (9) هايدجر: "ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقيا"، ص 287.
- (10) زكي نجيب محمود، موقف من الميتافيزيقيا، ط 2، ص 202.
- (11) Prengum books, London Adventures of Ideas, P.143, A.N. Whitehead.
- (12) يفوت: فلسفة العلوم المعاصرة ومفهومها للواقع، ص 48.
- (13) أرسطو طاليس، علم الطبيعة، ص 96.

- (1) محمود، موقف من الميتافيزيقيا، ط 2، ص 69 وما بعدها.
- (2) انظر رجب، الميتافيزيقيا عند الفلاسفة المعاصرين، ط 2، ص 11 وما بعدها.
- (3) كنت "نقد العقل المجرد"، ص 64.
- (4) محمود، موقف من الميتافيزيقيا، ص 70.
- (5) كنت، نقد العقل المجرد، ص 351.
- (6) المرجع السابق، ص 648.

- Saintific Discover,
- (19) محمود، موقف من الميتافيزيقا، ص74.
- (20) غصيب، جدل العقل العلمي، ص27.
- (21) ابراهيم، كانط والفلسفة النقدية، ص108.
- (22) A.N. Whitehead, Process and Reality, Cambridge Univ. Press, 1929, P164.
- (14) الفارابي، كتاب الإبانة عن عرض أرسطو طاليس في كتاب ما بعد الطبيعة "في المجموع"، ص52.
- (15) كانت، نقد العقل المجرد، ص42-43.
- (16) عمانوئيل كانط "نقد العقل المجرد"، ص72.
- (17) A.N. Whitehead, Adventures of Ideas, Cambridge univ. press. 1947, P 143.
- (18) Popper, The Logic Of London Hutchinson. 1959, P.35

محمود رجب، 1966، القاهرة.

المصادر والمراجع

- Kant. 1938. *The Fundamental Principles of the Metaphysics of Ethics*, N.Y. Appleton - Century- Crofts .Inc.
- Heidegger, *Introduction A La Metaphysique*, Paris, P.U.F.
- Heidegger. 1958. *The Question of Being*, N.Y. Twayne Publishers, INS.
- Jaspers. 1948. *Philosophie*, Berlin, Springer - Verlag, 2. Auflage.
- Hartman, N. 1945. *Les Principes D'Une Metaphysique De La Connaissance*, Aubier.
- A.N. Whitehead. 1947. *Adventures of Ideas*, Cambridge Univ. Press.
- A.N. Whitehead. 1926. *Science and the Modern World*, Cambridge Univ. Press.
- A.N. Whitehead. 1929. *Process and Reality*, Cambridge Univ. Press.
- Marx. 1937. *Economie Politique Et Philosophie*, O'Evres Philosophiques, T.6, Ed. A. Costes.
- Hegel. 1955. *Lectures on the History of Philosophy*, 1-3, London, Kegan Paul, 1955.
- رجب، محمود، 1982، الميتافيزيقيا عند الفلاسفة المعاصرين، دار المعارف، ط2، مصر.
- غصيب، هشام، 1992، جدل العقل العلمي، منشورات الجمعية العلمية الملكية، عمان.
- غصيب، هشام، 1993، دراسات في تاريخية العلم، دار التنوير العلمي، عمان.
- الفارابي، كتاب الإبانة عن عرض أرسطو طاليس في كتاب ما بعد الطبيعة، في "المجموع" مصر، 1907.
- قنصوة، صلاح، 1983، فلسفة العلم، دار التنوير للطباعة والنشر، ط2، بيروت.
- كانت، عمانوئيل، 1965، نقد العقل المجرد، ترجمة أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- كنت، عمانوئيل، 2005، نقد ملكة الحكم، ترجمة غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
- محمود، زكي نجيب، 1983، موقف من الميتافيزيقيا، دار الشروق، ط2، بيروت.
- هايدجر، ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقيا، ترجمة فؤاد كامل عبد العزيز،

The Necessity of the Metaphysic

*George Yacoub El-Far**

ABSTRACT

Modern philosophers and scientists asked a fundamental question about the necessity of having Metaphysic till now? Some of them answered that there is no need for Metaphysic in the Modern world, where the science took the central role, and over passed philosophy and religion too. They argued that Metaphysic is just an empty linguistic game, without any meaning in real life.

Others like (Kant and Whitehead) insisted on having a new kind of metaphysic related to science. Kant tried hard to criticize the foundation of natural science, while Whitehead tried to reconcile science with philosophy, saying that both of them are necessary in order to help science to broadening its limits.

In this paper I took the second position and defend Metaphysic as necessary. It helps in finding the whole meaning of the results of science and helps the mind in building its morality to transfer the humanity from a phase to another.

Keywords: Modern Philosophy, Meaning, Metaphysic.

* Department of Philosophy, Faculty of Arts, The University of Jordan, Amman. Received on 20/11/2012 and Accepted for Publication on 1/7/2013.